شذرات من ترجمة الألباني

كتبها تلميذه : د . عاصم بن عبد ا لله القريوتي

● " إن ا لله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا " .

وتزداد المصيبة عندما يكون فقدان العالم مصيبة لكافة طبقات الناس محدثين وفقهاء وعلماء ودعاة ، مربين وموجهين ، أساتذة وطلابا ، وهذا ما ألم بالمسلمين حقا على اختلاف طبقاتهم عندما تلقوا خبر وفاة شيخنا أستاذا العلماء ، عمدة المحققين ، مجدد هذا القرن الشيخ العلامة محدث العصر محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي الألباني ، غفر ا لله له وأسكنه فسيح جناته ورفع درجاته ، آمين . وتأتي هذه الفاجعة بعد قرابة خمسة أشهر من فجيعة العالم الإسلامي بشيخ الإسلام والمسلمين سماحة العلامة المجدد الشيخ عبد العزيز بن باز ، غفر ا لله له وأسكنه فسيح جناته ورفع درجاته وجمعنا معهما بالجنة .

● مولده ونشأته

ولقد كان مولد شيخنا العلامة الألباني سنة ١٩١٤ م في مدينة " أشقودرة " التي كانت حينئذ عاصمة " ألبانيا " .

نشأ الشيخ في أسرة فقيرة متدينة يغلب عليها الطابع العلمي ، إذ تخرج والده الحاج نوح ــ رحمه ا لله ــ في المعاهد الشرعية في العاصمة العثمانية " الآستانة " ورجع إلى بلاده حيث صار مرجعا للناس يعلمهم ويرشدهم .

وبعد أن تولى حكم ألبانيا الملك " أحمد زوغو " سار في البلاد في طريق تحويلها إلى بلاد علمانية تقلد الغرب في جميع أنماط حياته ، قرر والده الهجرة إلى بلاد الشام فرارا بدينه ، وخوفا على أولاده من الفتن ، ونظرا لسوء المدارس النظامية من الناحية الدينية ، قرر والده عدم إكمال الدراسة ووضع له برنامجا علميا مركزا ، قام من خلاله بتعليمه القرآن والتجويد والصرف وفقه المذهب الحنفي .

ولقد درس شيخنا على والده بعض علوم اللغة ، كعلم الصرف ، ودرس عليه أيضا من كتب المذهب الحنفي ، فدرس عليه " مختصر القدوري " وتلقى منه قراءة القرآن الكريم ، وختمه عليه بقراءة حفص تجويدا ، وكما درس على الشيخ سعيد البرهاني – رحمه الله – " مراقي الفلاح " في الفقه الحنفي ، و " شذور الذهب " في النحو ، وبعض كتب البلاغة المعاصرة .

وقد رغب العلامة المسند الشيخ محمد راغب الطباخ – رحمه الله – مؤرخ حلب الشهباء بلقاء شيخنا ، وكان ذلك بواسطة الأستاذ محمد مبارك – رحمه الله – وكان الألباني يومئذ شابا في مقتبل العمر ، وقد أظهر الشيخ راغب إعجابه بالشيخ الألباني لما سمعه عن نشاطه في الدعوة إلى الكتاب والسنة واشتغاله في علوم الحديث ، ورغب في إجازته بمروياته وقدم إليه ثبته " الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية " ، فلذا يعتبر الشيخ راغب شيخا له في الإجازة .

● **طلبه لعلم الحديث :**

لقد توجه الشيخ لعلم الحديث وهو في قرابة العشرين من عمره متأثرا بأبحاث مجلة " المنار " التي كان يصدرها الشيخ محمد رشيد رضا – رحمه الله – وكان أول عمل حديثي قام به هو نسخ كتاب " المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار " للحافظ العراقي – رحمه الله – والذي ينظر إلى جهد الشيخ في هذا العمل يعجب لنباهته وحسن اطلاعه في مثل ذلك السن ، ويزداد عجبه من شدة إتقانه لترتيب الكتاب وتنسيقه

وحسن خطه ، وهو موجود في مكتبته العامرة .

ولقد وفقه الله في الانطلاق بالدعوة في دمشق ، وحمل الشيخ رأية التوحيد والسنة ، ووافقه على دعوته بعض أفاضل العلماء المعروفين في دمشق ، وحضوه على الاستمرار قدما ، منهم العلامة محمد بهجت البيطار والشيخ عبد الفتاح الإمام رئيس جمعية الشباب المسلمين ، والشيخ توفيق البرزة ـ رحمهم الله ـ وغيرهم من أهل الفضل .

● **مجالسه ودروسه :**

ولقد كانت دروس الشيخ ومجالسه عامرة بالعلم والفوائد ، غزيرة النفع في سائر العلوم ، ولقد قرئ على الشيخ كتب كثيرة في دمشق إذ كان يعقد درسين كل أسبوع يحضرهما طلبة العلم .

ولقد زار دمشق قديما الأستاذ الأديب عبد الله بن خميس ووصف زيارته لدمشق وسفرته ، وكتب كتابا بعنوان " شهر في دمشق " طبع عام ١٣٧٤ هـ ـ ٢٩٥٥ م . ذكر فيه انطباعاته عن شيخنا في ذلك الوقت ، وكان مما ذكر عن زيارته تلك : ولم أزل طيلة مقامي بدمشق محافظا على درس الشيخ ، وقد انتهوا في علم التوحيد من كتاب " فتح المجيد " في كتاب " اقتضاء الصراط المستقيم " لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وفي كل حين يزداد عددهم وتتجدد رغبتهم ويكتبون وينشرون ، ومن تتبع مجلة التمدن الإسلامي وقف على ما لهذا الشيخ وتلامذته من نشاط وجهود ، ولقد لمست بنفسي لهم تأثيرا كبيرا على كثير من الأوساط ذات التأثير في الرأي العام مما يبشر بمستقبل جد كبير لهذه الدعوة المباركة ... وقد أجابه أحد الشباب المواظبين على دروس الشيخ آنذاك عند سؤاله عن بداية تلك المجالس العلمية قائلا : لا أعرف على وجه التحديد الوقت الذي بدأ فيه الشيخ اجتماعاته ، وكان أول اتصالي به عام ١٩٤٥ م ، وكان يقرأ مع ما يقرب من ثلاثين أخا كتاب زاد المعاد ، وخرج من هذه الدراسة بكتابة القيم " التعليقات الجياد على كتاب زاد المعاد " وهو مخطوط ، وقد طلب مني الشيخ حامد الفقي عام ١٩٥٣ م أن أطلبه من الشيخ ، وأنه على استعداد

لطبعه بجميع الشروط التي يضعها الشيخ ، ولا أعرف السبب الذي منع الشيخ من إرسال كتابه للشيخ حامد ، ثم انقطعت عن الشيخ حتى عام ١٩٤٩ م ، حيث قام الشيخ مع إخوانه بإحياء سنة صلاة العيد خارج المدينة ، وقرأ مع بعض إخوانه في ١٩٤٩ م ـ ١٩٥٠ م نخبة الفكر ، ثم بدأ مع إخوانه بقراءة كتاب الروضة الندية بدار الأستاذ عبد الرحمن الألباني ، وقد اتسعت هذه الحلقة حتى أصبح الذين يحضرونها يتراوح عددهم بين ٤٠ ـ ٦٠ وأكثرهم من أهل الرأي والعلم ، ويقرأ في جلسة ثانية كتاب فتح المجيد بناء على اقتراح الأستاذ عبد الحليم محمد أحمد ، وهو مدرس مصري درس في الشام ثم في عمان ، وقد قدم له بقراءة رسالة تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد ، وكان يحضر هذه الجلسة عدد مماثل لعدد الجلسة الأولى .

● وهناك جلسة شبه خاصة يدرس فيها كتاب الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ، وكتاب طبقات فحول الشعراء ، وبعد ان انتهى الإخوان من قراءة كتاب أصول الفقه ، وكانت تنعقد هذه الجلسة بدار الأستاذ على الطنطاوي ، وبعد سفره إلى باكستان عقدت بدار الدكتور أحمد حمدي الخياط ، وهناك درس مع بعض علماء الشام في السير ، ودرس في كتاب الترغيب والترهيب ، من بين الإخوان الذين يحضرون جميع أو بعض الدروس : الأستاذ أحمد راتب النفاخ المدرس في الجامعة السورية ، والأستاذ عبد الرحمن الباني مفتش دروس الدين في وزارة المعارف ، وعبد الرحمن نحلاوي مدرس الفلسفة في ثانويات دمشق ، ورشاد رفيق سالم الذي كان يحضر دكتوراه في الجامعة المصرية عن ابن تيمية وعضو لجنة الشباب المسلم المصرية ، والأستاذ عصام عطار المدرس في المعهد العربي وعضو الهيئة التشريعية للإخوان المسلمين في سوريا ، ومحمد مريدن " محامي " وموظف في ديوان المحاسبات ، وخالد صائمة " محامي " ، والدكتور نبيه غبرة " طبيب " ، والأستاذ محمد الصباغ مدرس الأدب العربي في ثانوية درعا .

● ولقد عرف قدر شيخنا العلماء الكبار والمشرفون على المراكز العلمية وهذا مما شجع المشرفين على الجامعة الإسلامية بالمدينة حين تأسيسها وعلى رأسهم سماحة الشيخ العلامة

محمد بن إبراهيم آل الشيخ ـ رحمه الله ـ رئيس الجامعة الإسلامية آنذاك والمفتي العام للمملكة العربية السعودية ، وتشجعهم أن يقع اختيارهم على الشيخ ليتولى تدريس الحديث وعلومه وفقهه بالجامعة .

● وبقي شيخنا في الجامعة الإسلامية ثلاث سنوات من عام ١٣٨١ هـ حتى آخر عام ١٣٨٣ هـ يدرس الحديث وعلومه ، وكان خلالها مثالا يقتدى به في الجد والإخلاص والتواضع ، وكان ذلك يتجلى في جلوسه مع الطلاب خلال أوقات الراحة بين الدروس ، وفي الرحلات التي تنظمها الجامعة ، كما كان عضوا في مجلس الجامعة آنذاك .

كما كان يتمتع شيخنا ـ رحمه الله ـ بصفات حميدة عظيمة ، منها غيرته على السنة النبوية ، وحبه العظيم لها ، وتمسكه الشديد بها ومحبته لأهلها ، وحرصه على توحيد الله عز وجل ، وتحذيره من الشرك والبدع في كل المناسبات ، إضافة لتقواه وورعه ، وصدعه بالحق ، ولا يخشى في ذلك لومة لائم ، وقبوله للنصح وللحق إذا ظهر له ذلك ، ويعلن رجوعه عما بدا له من خطأ إن ظهر له ، كما في مقدمة صفة صلاة النبي ـ صلى الله عليه وسلم .

● وقوفه ضد فكر التكفير :

● ولقد كان للشيخ الدور العظيم في صد الدعوة إلى فكر التكفير ولست مبالغا إن قلت : إن أعظم ما قام به الشيخ من جهود بعد نشره للتوحيد وإحياء السنة النبوية ، هو الوقوف أمام فكر التكفير العصري ، الذي فاق فكر الخوارج في هذه البلية .

ولقد كانت بداية هذا الفكر المنحرف زحفت إلى الأردن من مصر بعد ظهور شكري مصطفى قبل قرابة ثلاثين عاما ، ولقد وقف شيخنا ـ رحمه الله ـ آنذاك وقفة يشكر عليها ، ونسأل الله له الأجر العظيم في تصديه لهذا الفكر وقدرته على دخضه آنذاك .

وما كان ذلك لولا ما من به الله عز وجل على شيخنا من العلم الغزير وسعة الصدر مع هؤلاء ، مع طول نفسه في النقاش بالحجة والبرهان ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ،

كما كانت بعض الجلسات مع هؤلاء تدوم إلى الفجر أثناء البرد الشديد ، ولقد سجلت كثيرا من هذه الجلسات ، ونفع الله بها كثيرا من طلبة العلم .

ولقد كتب شيخنا في مسألة تكفير الحكام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله ، والتفصيل في هذه المسألة ، وأيده في ذلك العلماء الفحول أمثال الشيخ العلامة ابن باز – رحمه الله – والشيخ ابن عثيمين .

● برع شيخنا – رحمه الله – في الفتوى ، وفي إحكام إجابات عن الأسئلة العلمية في فنون عدة ، لاسيما في المسائل العقدية والحديثية والدعوية ، وهي تمتاز بأنها مدعمة بالأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة والحجة الدامغة .

ولقد سجلت للشيخ دروس وفتاوى وإجابات عديدة جدا من خلال إقامته بدمشق ثم بعمان ، وخلال أسفاره إلى الدول التي سافر إليها ، بلغت بضعة آلاف ، وهي الآن قيد التفريغ للطبع ، وقد بدأ فيما يخص العقيدة يسر الله إتمامها ، وما لم يسجل كثير من خلال اللقاءات والزيارات وعبر الهاتف وغير ذلك .

ولقد كان الشيخ مرجعا للعلماء الكبار ، ومن ذلك أن سماحة العلامة شيخ الإسلام والمسلمين – رحمه الله – أرسل إليه مرة رسالة تتعلق بمقالة عن المسند للإمام أحمد ، ذهب فيها صاحبها إلى التشكيك بالمسند ، يطلب ابن باز فيها من الألباني الاطلاع عليها والإفادة بما لديه في الموضوع .

وعلى كل حال ، فالرجل طويل الباع ، واسع الاطلاع ، قوي الإقناع ، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك سوى قول الله ورسوله . ونسأل الله تعالى أن يكثر من أمثاله في الأمة الإسلامية ، وأن يجعلنا وإياه من الهداة المهتدين والقادة المصلحين ، وأن يعلمنا ما ينفعنا ، وينفعنا بما علمنا إنه جواد كريم .

●●●